

MODERATION

Journal of Islamic Studies Review

MODERATION: Journal of Islamic Studies Review

Volume. 01, Number. 02, Agustus 2021

p-ISSN: 2776-1193, e-ISSN: 2776-1517

Hlm: 109-140

Journal Home Page: <http://journal.adpetikisindo.or.id/index.php/moderation/index>



مناسبة المعنى بين براعة المقدمة و المكاتبة

Solahuddin

Institut Agama Islam Shalahuddin Al-Ayyubi (INISA) Tambun-Bekasi

mudir.alkhobir@gmail.com

Abstrak: *Muqaddimah (kata pengantar) dalam ceramah, pidato, surat, buku, atau topik apapun merupakan salah satu bagian penting dalam karya. Muqaddimah tidak hanya berfungsi memberi identitas karya. Akan tetapi, muqaddimah juga dapat menyajikan gambaran umum isi dan meningkatkan minat masyarakat dalam membaca karya terkait. Terkadang kita lihat dalam sebuah karya baik tertulis ataupun diartikulasikan (diucapkan) antara kata pengantar (muqaddimah) dan isi tidak relevan. Oleh karenanya seorang penulis, pembicara, khatib, penyair yang handal harus dapat memperhatikan relevansi makna antara kata pembuka (muqaddimah) dan isi yang disampaikan. Karenanya seorang penulis atau pembicara dapat dikatakan gagal atau belum dikatakan seorang penulis yang ulung atau pembicara yang profesional atau berkualitas, jika ia tidak dapat merelevansikan antara kata pengantar yang menarik dan tujuan penulisan atau pembicaraan. Intinya muqaddimah harus disajikan dengan singkat padat, jelas dengan bahasa yang kuat, baik dan menarik serta tidak lari dari isi. Karena muqaddimah yang menarik dapat menarik perhatian kepada pembaca atau pendengar untuk terus menyempurnakan bacaannya atau melanjutkan pendengarannya sampai tuntas. Dalam sebuah tulisan surat saja contohnya memiliki pilar-pilar yang harus dipenuhi agar pesan bisa sampai kepada pembaca dengan baik. Dilihat dari masa kemasa (masa Jahiliyah, masa Rasulullah, khulafaurrosyidin, dinasti Abbasiya, dinasti umawiyah dan seterusnya) gaya bahasa muqaddimah memiliki ciri khas dan karakter sendiri. Boleh diakui sampai saat ini dari sisi tulisan kata pemula (muqaddimah) dalam tulisan yang paling indah ada didalam Al-Qur'an Al-Karim. Banyak pertanyaan yang muncul dibenak kita, diantaranya, "Bagaiman standarisasi sebuah pengantar yang dianggap baik, atau memenuhi syarat menurut para pakar??" dan "Apakah muqaddimah bersifat baku, atau mengalami perubahan?" Artikel ini akan menjawab dan menguraikan tentang rukun-rukun dalam sebuah tulisan yang bernilai sastra, syarat syarat keindahan muqaddimah (kata pengantar) yang memiliki relevansi yang kuat pada isi tulisannya, baik dalam bahasa narasi (natsr), dan sajak (nadhham) yang terurai dalam bentuk surat menyurat, khutbah, dan syair.*

Kata Kunci: *keindahan; muqoddimah; relevansi; makna; isi.*

مقدمة

و من حذق الكاتب أو الشاعر أو الخطيب في هذا النوع أن يراعي المناسبة المعنوية بين الابتداء و مضمون الرسالة، و لهذا لا يكون الكاتب كاتباً إلا إذا أجاد المقدمة و مقصد المكاتبة، وأن تكون المقدمة مبنية على مقصد المكاتبة و إلا فستكون مقدمة فاشلة. و مهما يكن من أمر فالمقدمة يجب أن تكون قصيرة موجزة و أن تكون موافقة و مناسبة للموضوع و أن تكون دالة على ما بعدها.

والمقدمة هي أولى خطوات البحث العلمي لقدرتها على جذب انتباه القارئ لاستكمال القراءة، و تعتبر المقدمة من أبرز الطرق الترويجية التي تجذب القراء للاطلاع على كافة محتويات البحث، و يجب كتابة مقدمة البحث بشكل مختصر و شامل في الوقت ذاته، كما يوصى أن تُكتب بلغة قوية وواضحة، و أن تكون مشوقة و جاذبة للقارئ، مع الحرص على اختيار موضوع حديث و مهم و ذلك لتفادي ضياع الجهود في قضية مُستهلكة ليست محط اهتمام الناس.

والمقدمة في اللغة العربية لها مصطلح آخر وهي الابتداء و الافتتاح و المبدأ و المبتدأ و الفاتحة، و المفتوح و الاستفتاح والتصدير و المطلع و الاستهلال، و في هذا البحث سنرى ملاءمة المعنى بين براعة المقدمة و مضمون الرسالة عن آراء العلماء. ثم بعد ذلك نتحدث عن حول المكاتبات حتى نعرف كاملاً عن صدور المكاتبات و في الختام نتحدث عن مناسبة المعنى بين المقدمة و المكاتبات.

حول المكاتبات

و أبدأ بالبحث حول صور المكاتبات، فقد أشار الكلاعي في كتابه خطاباً تاماً، كما يلي:

العنوان^(١)

لغة : العُنْوَان و العُلْوَان و الجمع عَنَّاوِين و عَلاوِين و يقال عُنْوَان و عِنْوَان وأصله ما دل على شيء.

و يُحْتَمَلُ أَنْ يَسْمَى عُنْوَانُ الْكِتَابَةِ عُنْوَانًا لَوْجِهَيْنِ :

الأول : أنه يدل على غرض الكتابة الثاني: يدل على الكتاب مُمَّنَّ و إلى مَنْ.

(١) راجع إحكام صناعة الكلام، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، ط٢، ص: ٥٩ و ما بعدها.

و أشار إليه المؤلف أن العنوان يختلف باختلاف الأزمان فكانوا فيما مضى لا يزيدون على قولهم : ((من فلان))، و قد جاء في الكتاب العزيز ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))^(٢) وزاد من بعد ذلك : ((من فلان إلى فلان)). وبهذا كان يُكتب عن النبي و يُكتب إليه، ثم تفننوا بعد و تعمقوا.

الاستفتاح^(٣)

إنه يختلف باختلاف الأزمان ففي الجاهلية كانوا يكتبون ((باسمك اللهم))، و كما روي عن عامر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب عنه كما تكتب قريش ((باسمك اللهم)). وعندما نزلت الآية ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))^٤ أثبتتها الرسول و أصحابه في الكتابة يستفتحون بها.

الصلاة على النبي^(٥)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تَجْعَلُونِي فِي أَعْجَازِ كُتُبِكُمْ كَقَدْحِ الرَّأبِ)) فوجب أن نمثل لقول النبي صلى الله عليه وسلم و تبدأ الرسائل بالصلاة و السلام على النبي عليه السلام، و تختلف صيغ الصلاة على النبي عند كثير من الكتاب. والأفضل الإلتزام بالصلاة و السلام على النبي صلى الله عليه وسلم في البدء و الختام، و كلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم. صدور الرسائل^(٦)

و هي تختلف من عصر إلى عصر فقد كانوا يكتبون في صدور رسائلهم : ((أما بعد)) و كانوا يستفتحون الرسائل بقولهم : ((سلام عليك إني أحمد الله إليك))، و قد يبدأون رسائلهم بالمنظوم من الشعر، و قد تبدأ الرسائل بقولهم: ((مرحبا و أهلا و سعة وسهلا)). و إذا كانت الرسائل إلى أهل الكتاب بدأوها بقولهم: ((سلام على من اتبع الهدى وتجنب سبل الضلالة و الهوى)).

(٢) سورة النمل، أية : ٣٠.

(٣) راجع إحكام صنعة الكلام، ط٢، ص: ٦٣ - ٦٤.

(٤) سورة النمل، أية : ٣٠.

(٥) راجع إحكام صنعة الكلام، ط٢، ص: ٦٤ و ما بعدها.

(٦) راجع إحكام صنعة الكلام، ط٢، ص: ٦٧ و ما بعدها.

و قد يذكرون الكنى في أول الرسائل و ما يجانسها كقولهم: ((حَسُنْتُ بِكَ يَا سَيِّدِي أَبَا
الحسن ضرائب الأيام)). و من الأب إلى ابنه : ((يا بُنَيَّ و من سلّمه الله و أبقاه، وآتاه ما أتمناه،
و وقاه، ما يتوقاه)).

و من الابن إلى أبيه : ((يا مولاي و جمال دنياي، و أوثق أركان عُلاي و من أدام الله لي
علوّه، و رزقني رضاه حُنوّه)).

الإشارة في الصدور إلى الغرض المذكور^(٧)

قال ابن جني : ((إذا كان المرسل حاذقا أشار في تحمده إلى ما جاء بالرسالة من أجله))،
مثل : ((أطال الله بقاء الفقيه الأجل القاضي الأعدل)) و من ذلك: ((أطال الله بقاء الفقيه
الأجل القاضي الأفضل، مُسَدِّد الإحياء، مُؤَوِّق الآراء، جميل الظن بالأحرار الأخيار، و الأولياء
الفضلاء)).

التخلص من الصدور إلي الغرض المذكور^(٨)

الرسائل قسمان : ١- ابتداء الخطاب ٢- رد الجواب

ابتداء الخطاب : توصلوا إلى ألفاظ في ابتداء الخطاب إلى غرض الكتاب، مثل قولهم: كتبتُ، و
كتابي، و كتابنا.

مثال: كقولهم: ((كتبتُ، كتب الله لك أمانا))، و كقولهم: ((كتابي أطال الله بقاء الأمير)).
أما لفظة ((كتابتُنا)) فإنما يكتب بها عن نفسه أمرٌ و ناهٍ، كقولهم: ((كتابنا أمدك بتقواه و
يسرّك لما يرضاه)).

^(٧) راجع إحكام صنعة الكلام، ط ٢، ص: ٧٥ و ما بعدها.

^(٨) راجع إحكام صنعة الكلام، ط ٢، ص: ٧٨ و ما بعدها.

الدعاء^(٩)

الإكثار من الدعاء في الرسائل دليل باهر على ضَعْف البضاعة في الصناعة (صناعة الأدب). وقد يستحسن في مخاطبة الملوك و الأمراء، ومما يجب على الكاتب أن يتحرى في الدعاء الألفاظ الراقية و المعاني اللائقة و ما يناسب الحال، و ما يوافق المعنى و المخاطَب. و يحسن في الدعاء لفظ : أدام و أزداد و ما أشبهها ذلك، كقولهم : ((أدام الله توفيقك، زاد في علو قدرك)). و عنده أن الدعاء في الرسائل نوع فقهي.

السلام^(١٠)

قال القُتَيْبِيُّ : السلام اسم من أسماء الله تعالى و صفة من صفاته عز و جل. وقولهم : ((السلام عليكم))، يراد اسم السلام عليكم. و يجوز أن يكون ((السلام عليكم)) : السلامة عليكم، و لكم، و إلى هذا المعنى يذهب من قال: ((سلام الله عليكم)). و مما يجب على الكاتب: أن يقدم لفظ السلام، فيقول: ((السلام عليكم أو عليك)). و قالت عائشة رضي الله عنها: إن الحي لا يقال له : ((عليك السلام))، إنما يقال له: ((السلام عليك))، و إنما يقال: ((عليكم السلام)) للميت. فالصواب تقديم لفظ ((السلام)) كما ذكرت أم المؤمنين رضي الله عنها. و السلام مستحب و رُذِّه واجب. و قد يستحب ترك السلام على الملك في غير الرسائل. و قال بعضهم: لا تُسَلِّم على الملك، فإنه إذا أجابك شقَّ عليه، و إن لم يُجِبك شقَّ عليك.

(٩) راجع إحكام صناعة الكلام، ط ٢، ص: ٨١ و ما بعدها.

(١٠) راجع إحكام صناعة الكلام، ط ٢، ص: ٨٨ و ما بعدها.

و يستحب أن يُردَّ السلام بأحفل مما ابثدىء به، و لا يجب له أن يزداد على البركة شيء. و قد تفنن الناس في ألفاظ السلام و كلفيته، فكانوا أولاً يقولون: ((و السلام عليك))، ثم قالوا: ((و السلام عليك ورحمة الله و بركاته))، ثم تعمقوا بعد ذلك و تفننوا. و من أبداع السلام و أبرعه قول بعض البلغاء: ((السلام عليك أيها الأمير سلاما يتصل أمثاله بسمعك أبدا ما بقيت)).

و بعد هذا العرض الذى حاولنا فيه التعرف على مفهوم حول المكاتبات، نتوقف الآن بالحديث عن حسن الإفتتاح أو براعة الاستهلال.

حسن الإفتتاح .

وفي هذا المبحث، ينبغي لنا - قبل الدخول إلى تناول حسن الافتتاح و براعة الاستهلال أن نعرف أولاً معنى الافتتاح إفادة و تبياناً لهذا المصطلح، لماذا ؟ لأننا إذا تصفحنا الكتب الأدبية التي تتناول هذا الموضوع فإننا نجد أن هناك بعض مؤلفي الكتب يستخدمون مصطلحا آخر غير هذا المصطلح (الافتتاح) و لكنه بمعنى واحد، ونحن نسميها في اللغة العربية ترادفات أو مرادفات. قال بعض الكُتاب: ((أحسنوا معاشر الكُتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان))^(١١). و من هنا يأتي السؤال : ما هو الابتداء إذن ؟

و يشير الدكتور محمد العبد أن الابتداء هو الافتتاح و المبدأ و المبتدأ و الفاتحة، و المفتاح و الاستفتاح و المقدمة والتصدير و المطلع و الاستهلال^(١٢).

لقد جاء في كتابه، أن الابتداء [أو الافتتاح] هو الوحدة البنائية الأولى من النص. و هي وحدة سمعية و معنوية تفتح للخطاب قناة الاتصال^(١٣). و قال بن رشيق : ((إذا كان الشعر قفلاً، فأوله مفتاحه، و ينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع و به يستدل على ما عنده من أول وهلة))^(١٤).

(١١) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النشر: المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ١، ص: ٤٣١، و انظر : الجامع الكبير لابن الأثير، ص : ٣٣٥.

(١٢) انظر : د. محمد العبد : النص و الخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص: ١١٨.

(١٣) انفس المرجع، ص: ١١٨.

(١٤) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ١، ص: ٧١، باب المبدأ والخروج والنهاية - مكتبة الشاملة الإلكترونية - الإصدار الثاني.

و أما حسن الافتتاح فكان ابن الأثير يسميه بالمبادئ و الافتتاحات أو براءة الاستهلال أو مطلع الكلام. فقد جاء في كتابه "المفتاح المنشأ لحديقة الإنشاء" ((براعة الاستهلال : هو أن تبتدىء بفتحة الكتاب الذي تكتبه بكلام مخترع يكون دالا على كافة الكتاب))^(١٥) ولذا أثرناها عنوانا كثيرا في الكتب الأدبية لما يعرف بحسن الافتتاح أو حسن الابتداء أو براءة الاستهلال أو المبادئ و الافتتاحات، فكلها تسميات لمفهوم واحد و مدلول واحد. و هو أيضا ركن ركين للبلاغة و الكتابة. فإنه لا بد أن يكون مَطْلَعُ الكتاب عليه جدة ورشاقة تدلان على ما في الكتاب، ولذا فإنه لا يكون الكاتب كاتباً إلا إذا أجاد المطلع والمقطع، وأن يكون المطلع مبنياً على مقصد الكتاب^(١٦).

وإذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول الله عز وجل في كتابه: ((آلم و حم وطس وطسم وكهيعص)) فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابه ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله لأن النفوس تشوق إلى تمجيد الله والثناء عليه و تميل إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام^(١٧) و مما يدل على فضل تمجيد الله والثناء عليه قال رسول الله ((كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبت)).

(١٥) ضياء الدين بن الأثير: كتابه المفتاح المنشأ لحديقة الإنشاء، دراسة و تحقيق : دكتور عبد الواحد حسن الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة، ط ١، ١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ، ص : ٩٩.

(١٦) دكتور عبد الواحد الشيخ : دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦، ص : ٢٣٦.

(١٧) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ج ١، ص : ٤٣٧، وانظر الجامع الكبير لابن الأثير، تحقيق الدكتور عبد المجيد هندواوي، ص : ٣٣٩.

و جاء في التعريفات : ((براعة الاستهلال هي أن يشير المصنف في ابتداء تأليفه، قبل الشروع في المسائل، بعبارة تدل على المرتب عليه إجمالاً، وهي كون ابتداء الكلام مناسباً للمقصود، وهي تقع في ديباجات الكتب كثيراً))^(١٨). وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال^(١٩). و قال زكي الدين بن أبي الإصبع : براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله^(٢٠). و قال أبو البقاء أيوب بن موسى : "براعة المطلع : أن يكون البيت صحيح السبك واضح المعنى غير متعلق بما بعده سالماً من الحشو وتعقيد الكلام سهل اللفظ متناسب القسامين بحيث لا يكون شطره الأول أجنياً من شطره الثاني مناسباً لمقتضى المقام وسماه ابن المعتز حسن الابتداء وفرعوا منه براعة الاستهلال ومعناها عند أهل البلاغة أن يذكر المؤلف في طاعة كتابه ما يشعر بمقصوده ويسمى بالإلماع"^(٢١).

و سمي ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء^(٢٢). و في صبح الأعشى : أشار القلقشندي في هذا الكلام إلى أن يأتي الكاتب حسن الافتتاح المطلوب في سائر أنواع الكلام من نثر ونظم مما يوجب التحسين : ليكون داعيةً لاستماع ما بعده. و يرى : أن حسن الافتتاح يرجع في المكاتبات إلى معنيين^(٢٣).

^(١٨) علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، ج ١، ص: ٦٣. و انظر : محمد عبد الرؤوف المناوي في التعاريف، تحقيق : الدكتور محمد رضوان الداية، فصل الرأء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ج ١، ص: ١٢٤.

^(١٩) جلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: الخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار النشر: دار إحياء العلوم - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الرابعة ، ج ١، ص: ١٣٢.

^(٢٠) تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة المحوي : خزنة الأدب و غاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار النشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧م، ط ١، ج ١، ص : ٤٠.

^(٢١) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، فصل الباء، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ١، ص : ٢٤٤.

^(٢٢) نفس المرجع : خزنة الأدب و غاية الأرب، ج ١، ص : ١٩.

^(٢٣) صبح الأعشى، ج ٦، ص : ٢٧٤.

المعنى الأول أن يكون الحسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به. إما الافتتاح بالحمد لله كما في بعض المكاتبات، لأن النفوس تشوق إلى الثناء على الله تعالى، أو بالسلام الذي جعله الشارع مفتح الخطاب أو نحو ذلك. وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب إليه، من تقبيل الأرض أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك. فإن أمر المكاتبات مبني على التملق واستجلاب الخواطر وتألّف القلوب، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى، على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتداءات. والمعنى الثاني أن يكون الحسن فيه راجعاً إلى ما يوجب التحسين من سهولة اللفظ، وصحة السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو، وغير ذلك من موجبات التحسين^(٢٤).

و يعرفه ابن الأثير بقوله: ((أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الخطب أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام إن كان فتحا ففتحاً، و إن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء))^(٢٥). فيكون أول ما يقابل لقارئ أو لسامع كلاماً يستدل به على فهم المعنى الذي وراءه سواء للكتاب أو القصيدة، و هذا يتطلب من الكاتب أو الشاعر أن يراعي الموضوع الذي يكتب فيه أو ينشد فيه إذ لكل مقام مقال. فما يناسب الغزل لا يساير الرثاء، و ما يتطلبه الموضوع الذي يكتب فيه، فإن كان فتحاً و نصراً، أو هزيمة وخزلاً أتى بما يتناسب ذلك. وعليه إذا كان الحدث مهماً أن يجعل به في مطلع كلامه، كي يزيد في تشويق السامعين لما بعد هذه المقدمة.

ولذلك فالناس فريقان في هذا: فريق وعي فأجاد، و آخر حمل فقصر، فذكر ما يثقل على النفس مما تنفر منه، بل مما تتشائم منه. و يقول ابن الأثير: ومن أدب هذا النوع ألا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يتطير منه وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس فينبغي أن يحتز منه في مواضعه كوصف الديار بالذثور والمنازل بالعفاء وغير ذلك من تشتت الآلاف و ذم الزمان لا سيما إذا كان في التهاني فإنه يكون أشد قبحا وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ومتى كان الكلام في المديح مفتتحاً بشيء من ذلك تطير منه سامعه^(٢٦).

^(٢٤) نفس المرجع: صبح الأعشى، ج ٦، ص: ٢٧٥. و انظر: النص و الخطاب و الاتصال، ص: ١١٩.

^(٢٥) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٩م، ج ٢، ص: ٢٢٣، و انظر ص: ٩٥ و ما بعدها في الفصل الثاني من هذه الرسالة، و انظر الجامع الكبير للمؤلف، ص: ٣٣٥.

^(٢٦) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص: ٢٢٤.

أما القلقشندي فلم يكتف بتناول هذا النوع، بل شرح ما جاء من قبله تفصيلاً لكلامه السابق وقال: أن يأتي الكاتب في ابتداء المكاتبة ببراعة الاستهلال المطلوبة في كل فن من فنون الكلام بأن يأتي في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها، فإن كان الكتاب بفتح، أتى في أوله بما يدل على التهئة، أو بتعزية أتى في أوله بما يدل على التعزية، أو في غير ذلك من المعاني أتى في أوله بما يدل عليه، ليعلم من مبدإ الكتاب ما المراد منه^(٢٧). و قال ابن حجة الحموي في خزنة الأدب و غاية الأرب: ((براعة الاستهلال نثراً ونظماً سواسياً في الشروط إن لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ وإلا فليست ببراعة استهلال))^(٢٨).

و يدقق القلقشندي في هذا النوع، فيرى أن براعة الاستهلال في المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد^(٢٩)، وقد تقع مع الابتداء بالتقبيل^(٣٠)، وقد تقع مع الابتداء بالدعاء^(٣١)، وتكون براعة الاستهلال في الدعاء المعطوف على المبتدئ به، بأن يكون الدعاء مناسباً للحالة المكتوب فيها، كما نبه عليه صاحب المثل السائر وغيره^(٣٢). ووصف القلقشندي في كتابه كل معنى مما يقع مع الابتداء و أفاض فيه.

ثم من المكاتبات ما يعسر معه الإتيان ببراعة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكاتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة. على أن الشيخ شهاب الدين محموداً الحلبي، رحمه الله، قد ذكر في كتابه حسن التوسل أنه إن عسر عليه براعة الاستهلال، أتى بما يقارب المعنى. وبكل حال فإذا أتى ببراعة استهلال في أول مكاتبته استصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحاً بخطبة، وإلا استصحبه إلى الفراغ من مقدمة الكتاب^(٣٣).

إذن وجب على مؤلف الكلام أن يتحرز و يختار، فلا يفاجأ سامعه بما يكرهه أو يعافه و كلما كان بارعاً دل في افتتاح قصيدته على ما تحويه القصيدة بأكملها أو الخطاب برمته.

(٢٧) صبح الأعشى، ج٦، ص: ٢٧٦.

(٢٨) نفس المرجع: خزنة الأدب و غاية الأرب، ج ١، ص: ٢١.

(٢٩) راجع: صبح الأعشى، تحت عنوان: أن يقع الافتتاح بالتحميد، ج٦، ص: ٣٣٢ وما بعدها.

(٣٠) راجع: صبح الأعشى، تحت عنوان: أن يفتح الكتاب بيقبل الأرض، ج٦، ص: ٣٣٩.

(٣١) راجع: صبح الأعشى، تحت عنوان: أن يقع الافتتاح بالدعاء، ج٦، ص: ٣٣٤ وما بعدها.

(٣٢) انظر: صبح الأعشى، ج٦، ص: ٢٧٧.

(٣٣) صبح الأعشى، ج٦، ص: ٢٧٨.

و لذلك وجدنا ابتداءات القرآن الكريم من أبرع ما جاء في الابتداء، فنجد السورة أحيانا تبدأ بالنداء الذي يوقظ السامع و يدعوه للأصغاء، و أحيانا تبدأ بحروف يسيرة غاية في الاعجاز و الغرابة، بل إن معناها يتساوى مع مبناها في النذير أوالنصح، أو الارشاد وترك الغي، ولذا وجدنا ما كان من حرف واحد مثل قوله تعالى ((ص، ن، ق)) و ما كان على حرفين كقوله تعالى ((حم، طس)) أو ثلاثة فما فوق كقوله تعالى أيضا((ألم، عسق، كهيعص)) و ما شابه ذلك، و كلها مدلولات لدلالات خاصة مناسبة سيقت في مناسبتها، و دلت على ما عليه الكلام التالي، و كلها معان بديعة وافتتحات بارعة^(٣٤).

و يرد عند ابن الأثير : ((من محاسن هذا الباب أن يفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الأخبار النبوية أو بيت من الشعر ثم يبني الكتاب عليه))^(٣٥). وقال: و إنما خصت الابتداءات بالاختيار، لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان ذلك الابتداء لاثقا بالمعنى الوارد بعده، توافرت الدواعي على استماعه، و يكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم، كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور، كذلك الابتداءات بالنداء، كقوله تعالى في أول سورة الحج : ((يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّا زَلَّزَلْنَا السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ))^(٣٦). فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه^(٣٧).

و أما ابن حجة الحموي فقد تكلم على هذا الموضوع بتفصيل تام، وقد أتى بأراء المتقدمين والمحدثين و فرق بينها. أما عند المتقدمين فقال ابن حجة الحموي : "واتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها وأن لا يتحافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة وأن يكون التشبيب بنسبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده، وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه بحيث لا يكون شرطه الأول أجنبيا من شرطه الثاني. وقد اتفق علماء البديع على أن عدم تناسب القسمين نقص في حسن الابتداء"^(٣٨).

^(٣٤) دكتور عبد الواحد الشيخ : دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦، ص : ٢٣٨، و انظر: المثل السائر، ص : ٢٢٤.

^(٣٥) ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص : ٢٤١.

^(٣٦) سورة الحج، آية : ١.

^(٣٧) الإمام محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها و تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٠، ص : ٩٦-٩٧.

^(٣٨) خزانة الأدب و غاية الأرب، ج ١، ص : ١٩.

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء فإنه أول شيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين وتفقد ما يكرهون سماعه ويتطرون منه ليتجنب ذكره ويختار لأوقات المدح ما يناسبها، وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الأدب فقد حكي أن أبا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه فأنشده من نظمه :

صفراء قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

وهشام بن عبد الملك أحول فأخرجه وأمر بحبسه^(٣٩).

و أما عند المتأخرين فبخلاصة القول، ما ذكره ابن حجة الحموي : " وأن لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد وهنا بحث لطيف وهو أن الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص. وقال أبو الفتح عثمان بن جني : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ. قال ابن رشيق في "العمدة" الذي ذكره أبو الفتح صحيح بين، لأن المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض فإنهم حضروا الحواضر وتفننوا في المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره^(٤٠).

رجع إلى ما كنا فيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وإيراد ما وعدنا به من كلام المتأخرين: قال قاضي هذه الصناعة وفاضلها والمتأخر الذي لم يتقدم عليه بغير الزمان أوائلها :

زار الصباح فكيف حالك يا دجي * قم فاستدم بفرعه أو فالنجا

انظر إلى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ه^(٤١).

^(٣٩) خزائن الأدب و غاية الأرب، ج ١، ص : ٢١.

^(٤٠) نفس المرجع، ج ١، ص : ٢٣. و راجع : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، مكتبة الشاملة الإلكترونية - إصدار الثاني، ج ١، ص:

١٩٢.

^(٤١) نفس المرجع، ص :

براعة الاستهلال في النظم:

ولقد فرع المتأخرون من براعة الاستهلال في النظم والنثر زيادة على حسن الابتداء فإنهم اشترطوا في براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنة أو مدح أو هجو، وكذلك في النثر فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وإن لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء.

وما سمي هذا النوع براعة الاستهلال إلا لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا إذا رفع صوته عند الولادة. وأهلاً الحجيح إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمي الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته^(٤٢).

ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليميني حيث قال :

إذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب^(٤٣)

براعة الاستهلال في النثر :

وأما براعات النثر فإنها مثلها إن لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ وإلا فليست ببراعة استهلال. قال صاحب خزانة الأدب و غاية الأرب : " وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال في النثر بقول صاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فإنه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره أن بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الإنسان فكتب الحمد لله الذي خلق الأنام في بطون الأنعام"^(٤٤).

(٤٢) المرجع السابق، ص : ٣٠

(٤٣) نفس المرجع، ص : ٣١.

(٤٤) نفس المرجع، ص : ٤٠.

و في الخطبة : إذا أراد الخطيب أن يجعل لخطبته افتتاحا، و جب أن يعنى به تمام العناية. وأن يجعله بكل وسائل التجميل المناسبة التي تجتذب الأفكار إليه وتهيء الإسماع، وتجعل النفوس تتقبله بقبول حسن. فإن الفكرة الأولى عن شيء أو عن أمر أو عن شخص تثبت و تقر بالنفس، و محوها يحتاج إلى عناء شديد، فإن كانت حسنة صعب تهجينها، و إن كانت سيئة صعب تزينها.

و الافتتاح - إن و جد - فهو أول ما يلقي الخطيب به الجماعة، فإن وقع من نفوسهم القبول، كانت الخطبة غالبا على غراره، و استطاع أن يصل إلي قلوبهم، و إن لم يصادف قبولا، صعبت الحال، و احتاج الأمر إلي حبير بأحوال النفوس، حاذق بطرق العلاج، و وسائل الشفاء من ذلك النفار و هذا الشماس.

و من أبلغ الافتتاحات التي تشير إلي موضوع الخطبة افتتاح الإمام علي رضي الله عنه في خطبته بعد اختلاف الحكمين، و استنصار معاوية بقول حكمه عمرو بن العاص فقد قال كرم الله وجهه: ((الحمد لله، و إن أتى الدهر بالخطب الفاضح، والحدث الجليل، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، و أن محمدا عبده و رسوله، صلى الله عليه و آله. أما بعد : فإن معصية الناصح الشفيق العالم المحرب، تورث الحيرة و تعقب الندامة، و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفافة، و المنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحته، و ضن الزند بقدحه، فكنت وإياكم كما قال أخو هوزان :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى * فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد)) (٤٥).

قي الكتب الولاية أو السلطانية :

وإذا كان استهلال كتاب من كتب الولاية أو السلطانية، فيجب على الكاتب أن يختار من التحميدات ما يكون مناسبا لمعاني الكتب. أما إذا أراد الشاعر أن يذكر مكانا أو بعض المنازل في قصيدته فيختار من الأماكن و المنازل ما رق لفظه، و حسن النطق به كالعذيب، و الغوير، و رامة، و بارق و العقيق، و إذا أراد ذكر أسماء النساء في الغزل فليذكر ما رق أيضا من الأسماء، نحو : سعاد، و أميم، و فؤز (٤٦).

(٤٥) نفس المرجع : الخطابة أصولها و تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص : ٩٨.

(٤٦) ابن الأثير : المثل السائر، ج ٢، ص : ٢٢٧.

و أما الافتتاحات في الولايات فلا بد أن ترجع إلي أربعة مراتب، وهي :

المرتبة الأولى - الافتتاح بلفظ: هذه بيعة، أو هذا ما عهد، ونحو ذلك في البيعات والعهود على المذهب القديم، أو بالحمد لله. ويقع الابتداء به في العهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا. وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأقلام، والمراسيم المكبرة لأرباب السيوف، والتواقيع لكبار أرباب الأقلام.

المرتبة الثانية - الافتتاح بأما بعد حمد الله. ويقع الابتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسيم المكبرة من أصحاب السيوف، والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأقلام.

المرتبة الثالثة - الافتتاح برسم الأمر الشريف، ويقع الافتتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسيم من سائر أرباب الولايات.

المرتبة الرابعة - ما كان يستعمل من الافتتاح بأما بعد فإن كذا. أو من حسنت طرائقه، وحمدت خلائقه، فإنه أحق، وما أشبه ذلك^(٤٧).

و قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلي رحمه الله في "حسن التوسل" : يجب على الكاتب في براعة الاستهلال بذكر الرتبة، أو الحال، أو قدر النعمة، أو لقب صاحب الولاية، أو اسمه، بحيث لا يكون المطلع أجنبياً من هذه الأحوال، ولا بعيداً منها، ولا مبايناً لها، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها^(٤٨).

و في كتابة البيعة يجب على الكاتب أن يأتي في براعة الاستهلال بما يتهيأ له من اسم الخليفة أو لقبه كفلان الدين، أو لقب الخلافة، كالمتوكل أو المستكفي، أو مقتضى الحال الموجب للبيعة من موتٍ أو خلع ونحوهما، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى^(٤٩).

و في كتابة العهد بالخلافة يجب على الكاتب في براعة الاستهلال بذكر ما يتفق له، من معنى الخلافة والإمامة واشتقاقهما، وحال الولاية، و لقب العاهد والمعهد إليه، و لقب الخلافة، إلى غير ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات^(٥٠).

(٤٧) صبح الأعشى، ج ٩، ص : ٢٧٦.

(٤٨) صبح الأعشى، ج ٩، ص : ٢٦١.

(٤٩) نفس المرجع، ج ٩، ص : ٢٧٦.

(٥٠) نفس المرجع، ج ٩، ص : ٣٥١.

و تتميماً لهذا الكلام، يجب على الكاتب أيضاً مراعاة أمور في براعة الاستهلال بما يتهيأ له من اسم السلطان أو لقبه الخاص، مثل ((فلان الدين))، أو لقبه بالسلطنة، مثل ((الناصر))، و((الظاهر))، ونحوهما، أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به.

و في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها براعة الاستهلال في الافتتاح و قال القلقشندي : ((أن الافتتاح فيها بالحمد لله أعلى من الافتتاح بأما بعد، والافتتاح بأما بعد أعلى من الافتتاح برسم الأمر الشريف، وأن لفظ ((أما بعد)) أعلى من لفظ ((وبعد))، وأنه يراعى في الولايات وصف المتولي والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال: ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك. ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولي لها، ثم يؤتى بالاختتام: من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصلية، والبسملة))^(٥١).

والسؤال المطروح : ما معايير الافتتاح المستحسن عند القدماء أو ما شروط المبدأ

المستحسن عند القدماء ؟

و بعد ذكر آراء العلماء في تحديد مفهوم هذا النوع ، يتبين لنا أن ما قرره القدماء نصاً ملفوظاً لا يأتي على جميع الشروط التي رغبوا في توفيرها في المبدأ. فلا بد هناك شروط أخرى ملحوظة من أمثلة وشواهد. كما قال أستاذنا الدكتور محمد العبد : " إذا كانت تلك الشروط ملفوظة، فهناك شروط أخرى ملحوظة مما ضربوه من أمثلة وشواهد ينبغي لها أن تؤخذ في الحسبان". و يتيح لنا الأمر أن نصنف تلك الشروط جميعاً على النحو التالي :

^(٥١) نفس المرجع، ج ٩، ص :

((الشرط الأول)) شرط الصياغة : ويقصد به حسن اختيار اللفظ و صحة السبك جميعا. و ينبغي أن يضاف إلى شرط الصياغة اعتبارات أسلوبية أخرى، مثل : تجنب الحشو، و تجنب المعازلة ونحوهما^(٥٢). و يرد عند ابن الأثير : " فإني وجدت حقيقة المعازلة اللفظية تنقسم إلى خمسة أقسام : (الأول) منها يختص بأدوات الكلام نحو: من وإلى وعن وعلى وأشباهاها فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلًا على اللسان ولكل موضع ما يخصه من السبك. (والثاني) : يختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يتعلق بتكرير الألفاظ ولا بتكرير المعاني وإنما هو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من ألفاظ الكلام المنتور أو المنظوم فيثقل حينئذ النطق به. (والثالث) : أن ترد ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضها فممنها ما يختلف بين ماض ومستقبل ومنها ما لا يختلف. و(الرابع) : من المعازلة وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقولهم : ((سرج فرس غلام زيد)) وإن زيد على ذلك قيل ((لبد سرج فرس غلام زيد)) وهذا أشد قبحا وأثقل على اللسان. و(الأخير) : من المعازلة أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبي تمام في قصيدته التي مطلعها : **مَا لِكَيْبِ الْحَمَى إِلَى عَقْدِهِ** " ^(٥٣). فلسنا بحاجة أن نطول هذا الكلام، واكتفاءً بهذا^(٥٤).

((الشرط الثاني)) الشرط المعنوي : و يقصد به وضوح المعنى، و ارتباط المبدأ بما بعده و دلالته عليه في الوقت نفسه^(٥٥). و سيأتي هذا الكلام في موضعه إن شاء الله.

((الشرط الثالث)) الشرط المقامي، و يسميه دكتور كمال بشر بالصحة الخارجية وهو عنصر أساسي من صحة الكلام^(٥٦) و يقصد به - من خلال ملاحظتهم المتفرقة - أمور عدة، نوجزها فيما يلي :

^(٥٢) راجع إلي: النص و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص: ٨٦ و ما بعدها. و راجع إلي : جمال الدين عبد المجيد(دكتور): البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية " الفصل الأول: البديع من تحسين اللفظ إلى سبك النص"، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص: ٧٥ و ما بعدها.

^(٥٣) هذا صدر مطلع القصيدة، و عجزه قوله : **مَا بَالُ جَزَعَائِهِ إِلَى جَزْدِهِ**.

^(٥٤) راجع المثل الثائر، ج ١، ص: ٢٨٦ و ما بعدها.

^(٥٥) راجع إلي : جمال الدين عبد المجيد(دكتور): البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، "الفصل الثاني: البديع من تحسين المعنى إلى سبك النص"، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص: ١٤١ و ما بعدها.

^(٥٦) الصحة الخارجية هي الجانب الثاني من جوانب صحة الكلام. فإذا كانت الصحة الداخلية تعني سلامة التأليف و الإتيان بالكلام على وجه صحيح من حيث بناؤه و تشكيله لغويًا، ووفقًا لقواعد اللغة المعينة، فإن الصحة الخارجية تعني الإتيان بهذا التأليف و التشكيل على وجه يحقق أغراضه و يفني مقصوده، و يلقي قبولا و ارتياحا من المتلقين. و الصحة الخارجية تقابل البلاغة في عرفتهم بمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو ما يشار إليه حديث بمرعاة سياق الحال - Context of Situation. انظر : كمال بشر (دكتور): علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار الغريب

(أولاً): رعاية حال المخاطب : فهي لب الخطاب. الخطيب الماهر أو المتكلم الحاذق هو الذي ينظر في أحوال الناس قبل مخاطبتهم، فيكون ملماً بشؤونهم و أخلاقهم و طبائعهم وأحوالهم، و من ثم لزم أن يكون ملماً بنفوس سامعيه حتى يدخل عليهم من السياسة التي يستطيع بها التأثير فيهم و يثير شعورهم، و يتبع في إقناعهم ما يتبع في إقناع نفسه. والخطيب المثالي يراعي الأسلوب الذي تقتضيه حال المخاطبين، فيجد حين يحسن الحد و يمزج حين يحسن الهزل.

و لا بد للخطيب أن يدرك أحوال سامعيه، و يجد في استمالتهم و السيطرة على مشاعرهم و أحاسيسهم، و من كان من أقدر الناس على النظر في أحوال مخاطبيه واختيار ما يناسب الموقف أو الحال الذي هو فيه من كلمات و عبارات تحقق غرضه الخطابي فهو بحق يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً و لكل حالة مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات^(٥٧).

فمراعاة حال المخاطب تعني أن يأخذ المتكلم بعين الاعتبار ما يتعلق بمخاطبيه لغويا واجتماعيا وذهنيا وثقافيا ونفسيا، فالمخاطب عنصر أساسي في عملية الإقناع، ليس باعتباره غاية الخطاب فقط، بل باعتباره عنصرا ضروريا في بنائه وتكوينه. فإن المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب والاستماع الحسن عون للبلوغ على إفهام المعنى^(٥٨).

و يقول أستاذنا الدكتور محمد العبد : " و من حذاق المتكلم أو المرسل أن يراعي منزلة المخاطب، و حاله. و ذلك في كل ماله بالخطاب علاقة، كاسمه أو اسم أحد من أهله، وعمره، وخلقته و خلقته، و عمله، و الوضع الذي يكون عليه المخاطب: جسمانيا كان أم نفسيا أم عقليا "^(٥٩). فإذا خرج المبدأ عن ذلك المعيار كان معيبا^(٦٠)، من أجل ذلك يعتبر عيبا عند عدم مراعاة ذلك ، ومثاله مطلع قصيدة للبحثري في مدح أبي الحسن عبد الملك بن صالح الهاشمي، و هو قوله:

للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، ط ٢، ص : ٩٦. و فن الكلام، دار الغرب، ٢٠٠٣، ص : ١٢٦ وما بعدها. و مقال الدكتور كمال بشر : بعنوان " موقع اللغة في المجتمع " في مجلة البحوث و الدراسات العربية، العدد ٣٧، يوليو ٢٠٠٢، ص : ٢١٧ و ما بعدها.

(٥٧) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ج ١، ص : ١٣٥.

(٥٨) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ج ١، ص : ١٦.

(٥٩) النص و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص : ١١٩ - ١٢١.

(٦٠) المرجع السابق : ص : ٧٩.

((فؤادٌ مَلاهُ الحُزْنُ حتى تَصَدَّعا * وعينان قال الشوق : جودا معا معا)).

قال ضياء الدين ابن الأثير : " وكذلك استقبح قول البحترى " فؤاد ملاه . . . البيت ".
فإن إبتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبو عنها السمع. و هو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لا مديح^(٦١).

قال الدكتور محمد العبد : و لا شك أن المخاطب كان قد هياً نفسه في هذا الوقت أن يسمعه البحترى ما يروقه و ما تسر به نفسه، فلم يراع البحترى حاله، و فاجأه بما يناسب الرثاء من كلام عن فؤاد حزين و عينين تجودان بالدمع !. و كان ابن رشيق قد التفت إلي زمن الخطاب و حال المخاطب و جعل رعاية الأمرين من الفطنة و الحذق، يقول : " والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين؛ فيقصد مخاطبهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره"^(٦٢).

و لتوضيح هذا الكلام سنورد الشواهد و الأمثلة على ذلك منها :

١. روي أن أرطاة بن سهية المري الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان، و قد أتت عليه عشرون و مائة سنة - و قال بعضهم ثلاثون و مائة سنة- فقال له عبد الملك: ما بقي من شعرك يا ابن سُهَيْة؟ فقال: و الله ما أشرب، و لا أطرب، و لا أغضب، ولا يجيئ الشعر إلا على مثل هذه الحال. و قال بعضهم: إلا مع إحدى هذه الخلال- وإني على ذلك للذي أقول:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَأْكُلُ كُلَّ حَيٍّ *	كَأَكْلِ الأَرْضِ ساقِطَةَ الحَدِيدِ
وَمَا تَبْغِي المَنِيَّةُ - حِينَ تَعْدُو *	سوى نَفْسِ ابنِ آدَمَ من مَزِيدٍ-
وَأَحْسِبُ أَنها سَتَكُرُّ حَتَّى *	تُوفِي نَدْرَها بِأبي الوَلِيدِ ^(٦٣) .

(٦١) المثل السائر، ج ٢، ص : ٢٢٦.

(٦٢) النص و الخطاب و الاتصال، ص: ١٢٠. و العمدة في محاسن الشعر و آدابه، المكتبة الشاملة الألكترونية - الإصدار الثاني، ج ١، ص : ٧٣.

(٦٣) أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي : عيار الشعر، محقق: عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: ٢٠٧.

و كان أرطاة يُكَنَّى أبا الوليد، فارتاع عبد الملك، و كان عبد الملك أيضا يكنى أبا الوليد، و اشتد عليه، و تغير وجهه، و ظن أنه يعنيه. فقال : لا ترع يا أمير المؤمنين! إني لم أعنك، و إنما عنيت نفسي؛ أنا أبو الوليد. فقال عبد الملك : و إياي و الله لتوفينّ بي نذرها^(٦٤). و في عيار الشعر : ((فقال له عبد الملك ما تقول تُكَلِّتُكَ أُمُّكَ فقال أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين وكان عبد الملك يُكَنَّى أبا الوليد أيضا فلم يزل يَعْرِفُ كراهةَ شعره في وَجْهِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنْ مَاتَ))^(٦٥).

٢. عن (ميدان الخلفاء) هو عند أصحاب الأخبار عشرون سنة إلى أربع وعشرين وهى دوران المشترى فكأنها كناية عن أتم مدة للخلافة فمن بلغت مدة خلافته عشرين سنة إلى اثنتين وعشرين سنة معاوية وعبد الملك وهشام والمنصور والمأمون والمعتمد ولم يستكمل الأربع والعشرين غير الرشيد والمقتدر.

حدث أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبى قال كنا وقوفا على باب الفضل بن الربيع وهو عليل فى آخر أيام الرشيد إذ أقبل الرشيد عائدا له، فقال له عبد الملك بن هلال : " الحمد لله يا أمير المؤمنين إذ خصك بطول البقاء وأجازك ميدان الخلفاء " فتغير وجه الرشيد ودخل فخرج بعقب ذلك القاسم ابن الربيع يشتم عبد الملك بن هلال ويقول له: " من حملك أن تذكر لأمر المؤمنين ما مضى من مدة خلافته والله ليعيشن بعدها أربعين سنة "، فما عاش بعدها إلا أقل من سنة.

قال محمد بن عباد وكان محمد بن عبد الرحمن السكونى واقفا معنا فأقبل على يحدثنى بنحو هذا الحديث وذلك أن المنصور انصرف من صلاة الفطر سنة ثمان وخمسين ومائة فجلس وهنأه الناس ودعوا له فقال عقال بن شيبه وقد وضعت الموائد والمنصور يأكل : " احمد الله يا أمير المؤمنين فقد جزت ميدان الخلفاء قبلك "، فقبض المنصور يده عن الطعام وقال كبرت والله يا عقال وكبر كلامك ففطن عقال لذلك وتلافى أمره وقال أجل والله يا أمير المؤمنين لقد أحزن سهلى واضطرب عقلى وأنكرنى أهلى ولا أقوم والله هذا المقام بعد يومى فسكن قوله هذا من المنصور ولم يعيش بعد ذلك إلا شهرين وأياما.

^(٦٤) النص و الخطاب و الاتصال، ص : ٧٩.

^(٦٥) نفس المرجع : عيار الشعر، ص : ٢٠٧.

قال أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: " مثل قول عبد الملك بن هلال للرشيد وعقال بن شيبه للمنصور سوء أدب في مخاطبة الملوك والكبراء لأن فيه نعيًا لهم إلى أنفسهم وإنذارًا إياهم لمجيء آجالهم." (٦٦).

٣. و المثال الأخير : عن أبي نصر أحمد بن حاتم، قال : "بلغني أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له : من أشعر أهل زماننا؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين. قال : ثم من؟ قال : غلام منا بالبادية يقال له ذو الرحمة، قال : ثم دخل عليه جرير بعد ذلك، فقال له : من أشعر أهل زماننا؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين. قال ثم من؟ قال غلام منا بالبادية يقال له ذو الرحمة. فأحب عبد الملك أن يراه لقولهما، فوجه إليه، فجيئ به. فقال : أنشدني أجود شعرك، فأنشده :

ما بال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلي مفرية سرب

قال : و كانت عينا عبد الملك تسيلان ماء. قال : فغض عليه و نفاه. فقيل له : و يحك! إنما دهاك عنده قولك :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

فاقلب كلامك. قال : فصبر حتى دخل الثانية. فقيل له : أنشده، فأنشد :

ما بال عيني منها الماء ينسكب

حتى أتى على آخرها، فأجازه و كرمه" (٦٧).

(ثانيا) : رعاية الدور الاجتماعي للمخاطب : و قد عبر ابن طباطبا عن هذا المعيار باشرطه أن يعد المتكلم "لكل طبقة ما يشاكلها، حتى تكون الاستفادة من عقله في وضعه الكلام مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه و ابداع نظمه" (٦٨). و سيأتي تفصيل هذا الكلام في موضعه.

(٦٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف و المنسوب، دار المعارف القاهرة، ص : ١٨٧-١٨٨.

(٦٧) النص و الخطاب و الاتصال، ص : ٨٠ - ٨١.

(٦٨) أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي : عيار الشعر، محقق: عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: ٩.

(ثالثاً) : رعاية الموقف الخارجي : فإذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث، كفتح معقل أو هزيمة جيش و نحو ذلك، فإنه لا ينبغي للشاعر أن يبدأ فيها بغزل. و قد أصاب ابن الأثير حين ربط بين بدء الشاعر - في مثل هذه الحال - بالغزل و بين جهله بوضع الكلام في مواضعه. ينصرف ذلك إلى معنى جهله بتقدير الموقف الاتصالي الخارجي و ما يناسبه من كلام^(٦٩).

هذه هي معايير الافتتاح المستحسن، فإذا خرج هذا الافتتاح عن تلك المعايير كان نقصاً. و في ختام ما أوردناه في حسن الابتداء و براعة الاستهلال من هذا الكلام، نريد أن نقول إن هذه المعايير التي ذكرناها إنما هي من باب علم البديع في البلاغة العربية و يطلقون عليه المحسنات البديعية و هو أحد علوم الأدب الستة، وذلك أنك إذا نظرت في الكلام العربي إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه وهو علم التصريف وإما أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية وإما أن تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعاني وإما أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً وخفاءً بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان وإما أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع. فالعلوم الثلاثة الأولى يستشهد عليها بكلام العرب نظماً ونثراً لأن المعترف فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لأنها راجعة إلى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذا كان الرجوع إلى العقل، وقال أبو الفتح عثمان بن جني ((المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ))^(٧٠).

^(٦٩) النص و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ص : ١٢١.

^(٧٠) المرجع السابق : خزانة الأدب و غاية الأرب، ج ١، ص : ٢٣.

٢. المناسبة المعنوية بين المقدمة و المكاتبة.

و من حذق الكاتب أو الشاعر أو الخطيب في هذا النوع أن يراعي المناسبة المعنوية بين الابتداء و مضمون الرسالة، و لهذا لا يكون الكاتب كاتباً إلا إذا أجاد المقدمة و مقصد المكاتبة، و أن تكون المقدمة مبنية على مقصد المكاتبة و إلا فستكون مقدمة فاشلة. و مهما يكن من أمر فالمقدمة يجب أن تكون قصيرة موجزة و أن تكون موافقة و مناسبة للموضوع و أن تكون دالة على ما بعدها.

و المقدمة هي ما يجعله الخطيب صدر خطبته أو الكاتب صدر مكاتبته أو الشاعر صدر شعره - أولاً ليثير الفكر إليها، و ثانياً - ليعطى السامعين أو المتلقين أو المخاطبين صورة إجمالية لها، و ثالثاً - ليحصر لهم معانيه و أفكاره في نطاق لا يعدوه، و لا يتجاوزوه، و نسمي الأول حسن الافتتاح- و قد ذكرناه سابقاً-، و الثاني المقصد و الثالث تقسيم الموضوع^(٧١).

أما المقصد - فأن يذكر المتكلم في صدر كلامه الموضوع الذي سيتناوله من غير تفصيل، و ذلك ليهيئ الأذهان لتلقيه، و يشعروهم برفق إلى ما سيقوله. و لا بد عند ذكر المقصد من ملاحظة ثلاثة أمور: أحدها- أن يذكره في قضية عامة، لا يبينها على مقدمات، لأنه لو بناها على مقدمات كان ذلك سياقاً برهانياً، وهو أجدر بالإثبات من المبادئ.

و ثانيها- أن يكون واضحاً في الدلالة على الموضوع، لأنه إن لم يكن كذلك، لم يثمر ثمرته المرجوة، و ألقى في نفس المتلقي روح التبرم، و كان ذلك طريقاً لورود السأم إلى قلبه. و ثالثها- أن يلقي في جملة تثير خيال النفس، و تهزها. فتنشط إلى سماع ما يقال، و تهتز أوتار القلب و الوجدان لكل ما يجيء به الخطيب أو المتكلم من معان، و عبارات جيدة و محكمة^(٧٢). هذا و ليس بلازم أن يذكر المقصد دائماً.

و أما تقسيم الموضوع، فإذا كان الموضوع واسع الأطراف، مترامي النواحي، كثير الشعب، كان على المتكلم أن يجمع أشتاته و يضبط أجزاءه، و يقسمه تقسيماً جامعاً لأطرافه و حواشيه^(٧٣).

(٧١) انظر : الإمام محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها و تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٠، ص : ٩٦.

(٧٢) المرجع السابق، ص: ١٠١.

(٧٣) المرجع السابق، ص: ١٠٢.

و يمكننا القول بأن القانون الدلالي الجوهري الذي يحكم علاقة المبدأ بما بعده هو ما عبّر عنه ابن رشيق بقوله ((أن يكون دالا على ما بعده)) أجمل ابن رشيق القانون السابق إجمالاً. و في كلام ابن الأثير - في صدر فصله عن المبادئ والافتتاحات - ما نراه تفصيلاً لذلك الإجمال. فيقول ابن الأثير: ((وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الخطب أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحاً ففتحاً، و إن كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءً فعزاءً و كذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني، و فائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به، و لم هذا النوع))^(٧٤).

ودلالة المبدأ على ما بعده تعني بالضرورة تحقق المناسبة المعنوية بينهما. و قف أبو القاسم الكلاعي (ت ٥٥٠ هـ) على ملاحظة هذه المناسبة بين الرسائل و صدورهما، عرض الكلاعي طائفة من صدور الرسائل التي شدها التناسب إلى الإنباء عن المضمون و طبقة المخاطب. نلاحظ بذلك من تأمل الصدور التالية :

- (١) أطال الله بقاء أمير المؤمنين : في : ((مخاطبة الأمراء)).
- (٢) أما بعد، أحسن الله توفيقك، و نهج إلي الرشيد طريقك ((يكتب به عن أمراء إلى من مرق عن الطاعة)).
- (٣) سلام على من اتبع الهدى و تجنب سبل الضلال و الهوى. و تمسك من طاعة الله و طاعة رسوله بالعروة الوثقى ((يستفتح به عنهم إلى زعماء الروم)).
- (٤) أمدك الله أيها الولي الأخص و الخليل الأخلص بالتقوى ((يكتب به عنهم إلى القضاة والفقهاء))^(٧٥).
- (٥) كتابنا، أمدك الله بتقواه، و يسرك لما يرضاه ((مما يكتب به عنهم إلى سائر العمال))^(٧٦).
- (٦) يا بني، و من سلمه الله و أبقاه ((مما يكتب به الأب إلى ابنه)).
- (٧) يا مولاي و جمال دنياي ((مما يكتب به الابن إلى أبيه))^(٧٧).

^(٧٤) ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٩م، ج٢، ص: ٢٢٣، و انظر : الجامع الكبير للمؤلف، ص : ٣٣٥. و النص و الخطاب و الاتصال، ض : ١٢١،

^(٧٥) الكلاعي (أبو القاسم محمد بن عبد الغفور) : إحكام صنعة الكلام، حققه و قدم له الدكتور محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط ٢ (١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م) ص : ٧٣.

^(٧٦) المرجع السابق، ص : ٧٤.

و يرى أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) أن من الحذق أن يشير المرسل في تحميده إلى الغرض من الرسالة : ((و إذا كان المرسل حاذقا أشار في تحميده إلى ما جاء بالرسالة من أجله))^(٧٨). و رأينا هنا أن الكلاعي على رأي أبي الفتح. و قد جرى مجراهما ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ). يرى ابن الأثير: أن المناسبة المعنوية من أوكذ أركان الكتابة. و قد أخذ على أبي إسحق الصابي إخلاله كثيرا بهذا الركن، و ذلك أنه يأتي بتحميده في الكتاب من الكتب السلطانية، لا يكون مناسباً لمعنى ذلك الكتاب. من أمثلة ابن الأثير على ذلك ما كتبه أبو إسحق في ابتداء كتاب عن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها، و كان فتحا عظيما : ((الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، الوحيد الفريد، العلي المجيد، الذي لا يوصف إلا بسلب الصفات و لا ينعت إلا برفع النعوت، الأزلي بلا انتهاء . . . الخ)). قال ابن الأثير معقبا : ((وهذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها، و لكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين . . . و أما أن توضع في صدر كتاب فتح فلا))^(٧٩).

وقوف ابن الأثير على مثل النموذج السابق دليل على ندرة وقوعه. كان المعتاد بين كبار المنشئين رعاية المناسبة المعنوية بين الابتداء و مضمون الرسالة. و على كل حال، فإن عناية أبي القاسم الكلاعي و ابن الأثير بالنظر في إنشاء الرسائل من منظور المناسبة المعنوية، دليل عملي بين على وعيهما بخاصة الحبك النصي. في مقابل نموذج أبي إسحق الصابي نرى نماذج عدة عند الكلاعي و ابن الأثير روعيت فيها المناسبة. و من نماذج الكلاعي ابتداء رسالة لمحمد بن عبد الله أبي جعفر المشهور بابن عبد كان (ت ٢٧٠ هـ) جمع فيها ذكر استقامة الحال بين أبي الحسن خمارويه (ت ٢٨٢ هـ) وبين المعتضد أحمد بن طلحة الخليفة العباسي (ت ٢٨٩ هـ)، و هو قوله: ((الحمد لله مقلب القلوب، و علام الغيوب، الجاعل بعد عسر يسرا، و بعد تحارب اجتماعا))^(٨٠).

(٧٧) المرجع السابق، ص : ٧٥.

(٧٨) الكلاعي : إحكام صنعة الكلام، ص : ٧٥. و انظر المثل السائر بنفس الكلام، ص :

(٧٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص : ٢٣٤.

(٨٠) إحكام صنعة الكلام، حققه و قدم له الدكتور محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط ٢ (١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م) ص : ٧٦.

و الحاصل لا يحسن بالكاتب أن يخلي كلامه - و إن كان وجيزاً - من مقدمة يفتتحة بها و إن و قعت في حرفين أو ثلاثة، ليوفي التأليف حقه. وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب كالفتوح، والتهاني، والتعازي، والتهادي، والاستخبار، والاستبطاء، والإحمام، والإذمام، وغيرها، ليكون ذلك بساطاً لما يريد القول فيه، وحنةً يستظهر بها السلطان، لأن كل كلام لا بد له من فرش يفرش قبله: ليكون منه منزلة الأساس من البنيان.

و يرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تشاكلها. والطريق إلى إصابة المرمى في هذه المقدمات أن تجعل مشتملةً على ما بعدها من المقاصد والأغراض، وأن يوضع للأمر الخاص مقدمة خاصة، وللأمر العام مقدمة عامة، ولا يطول في موضع الاقتصار، ولا يقصر في موضع الإيجاز، ولا يجعل أغراضها بعيدة المآخذ، مُعتاصةً على المتصفح، وذلك أن الكاتب ربما قصد إظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق، فخرج إلى الإملال والإضجار الذي تتبرم، منه النفوس، ولا سيما نفوس الملوك وذوي الأخطار الجليلة^(٨١).

و في نهاية هذا الكلام نأتي بأمثلة أخرى أوردها ابن الأثير في كتابه من المقدمات لها مناسبة المعنوية مع المكاتبة. و من ذلك :

يقول ابن الأثير : ومن محاسن الابتداءات التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته في كتاب الروضة لأبي العباس المبرد فإنه ذكر غزوة غزاها هارون الرشيد رحمه الله في بلاد الروم وأن نقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض نقفور العهد فلم يجسر أحد على إعلام الرشيد لمكان هيئته في صدور الناس وبذل يحيى بن خالد للشعراء الأموال على أن يقولوا أشعاراً في إعلامه فكلهم أشفق من لقائه بمثل ذلك إلا شاعراً من أهل جدة يكنى أبا محمد وكان شاعراً مفلحاً فنظم قصيداً وأنشدها الرشيد أولها

نقضَ الذي أعطيته نقفورُ	*	فعلية دائرة البوار تدورُ
أبشر أمير المؤمنين فإنه	*	فتح أذاك به الإله كبير
نقفور؛ إنك حين تغدر - أن نأى	*	عنك الإمام - لجاهل مغرورُ
أظننت حين غدرت أنك مُفلت	*	هبلتك أمك! ما ظننت غرورُ

(٨١) صبح الأعشى، ج ٦، ص : ٢٧٩.

فلما أنهى الأبيات قال الرشيد أو قد فعل ثم غزاه في بقية الثلج وفتح مدينة هرقله^(٨٢).
و المثال الآخر يرينا المقدمة التي وردت في أوائل الكتب و هي دالة بارعة ومناسبة، و هو ما قاله ابن الأثير في الهناء بفتح فقال : ((هذا الكتاب مشافه بخدمة الهناء للمجلس السامي الفلاني جدد الله له في كل يوم فتحا وبدل عرش كل ذي سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضحي وكتب له على لسان الإسلام ولسان الأيام ثناء خالدا ومدحا وأسكنه بعد العمر الطويل دارا لا يظماً فيها ولا يضحى ثم أخذ بعد ذلك في إنشاء الكتاب المتضمن ما يقتضيه معاني ذلك الفتح))^(٨٣).

و من ذلك كتاب عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى إلى الأطراف عند عودته إلى كرسي ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من فادحة الأتراك، فقال ((الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الوهن إذا ثلم وكاشف الخطب إذا أظلم والقاضي للمسلمين بما يضم نشرهم ويشد أزهم ويصلح ذات بينهم ويحفظ الألفة عليهم وإن شابت ذلك في الأحيان شوائب من الحدثن فلن يتجاوز بهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم إنهم عائدون إلى فضل ما أولاهم الله وعودهم ووثق لهم ووعدهم من إيمان سريهم، و إعداب سريهم، و إعزاز جانبهم، و إذلال مجانبهم، وإظهار دينهم على الدين كله و لو كره المشركون)).

قال ابن الأثير : وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وإن كانت المعاني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب السجع فليؤخذ من هناك^(٨٤).

(٨٢) المثل السائر، ج ٢، ص : ٢٣١.

(٨٣) نفس المرجع، ج ٢، ص : ٢٣٦.

(٨٤) نفس المرجع، ج ٢، ص : ٢٣٥.

قائمة المراجع

- ابن الأثير (ضياء الدين) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٩ م.
- ابن الأثير (ضياء الدين): كتابه المفتاح المنشأ لحديقة الإنشاء، دراسة و تحقيق : دكتور عبد الواحد حسن الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة، ط ١، ١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ.
- الإمام أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي: أدب الكتاب، شرح و تعليق أحمد حسن لبعج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ابن فارس : (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ) : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الجليل، بيروت، ١٤٤٤ هـ، ١٩٩١ م ج٢.
- (أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي) : إحكام صنعة الكلام، حققه و قدم له الدكتور محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط ٢ (١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م).
- ابن رشيق القيرواني ش: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ١، ص : ٧١، باب المبدأ والخروج والنهاية - مكتبة الشاملة الإلكترونية - الإصدار الثاني.
- ابن منظور : لسان العرب. دار المعارف، الطبعة الثالثة، ج ٢.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار النشر: المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت: ٧٧٠) : المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ج ٢.
- أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢ هـ): المفردات في غريب القرآن، محقق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة لبنان.
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

أ. د. أحمد عبد الرحيم السايح : الخطاب الديني والواقع المعاصر. قضايا إسلامية سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي، العدد (١٢٨)، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،
القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

دكتور أحمد أمين مصطفى : الرسائل في مصر الإسلامية إلى نهاية الدولة الإخشيدية، مطبعة
السعادة، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

دكتور أحمد مختار عمر : علم الدلالة، عالم الكتب، ط ٥، ١٩٩٨ .

تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة المحوي : خزانة الأدب و غاية الأرب، تحقيق: عصام
شقيو، دار النشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧ م، ط ١ .

جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) : أوضاع المسالك إلى ألفية بن مالك،
دار الفكر، بيروت - لبنان، جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

دكتور حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢ .

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥ هـ) : العين، باب القاف و الظاء والراء، تحقيق : الدكتور
مهدي المخزومي، الدكتور : إبراهيم السامرائي دار المكتبة الهلال.

الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥ هـ) : العين، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم
السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١٤٠٨ هـ/ ١٩٩٨ م.

الزنجشري : (محمود جار الله) : أساس البلاغة، الذخائر ٩٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، قدم
هذه الطباعة د. محمود فهمي حجازي.

سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥) : سنن أبي داود، محقق: محمد
محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، ج ٤ .

د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص. دار عالم المعرفة، ط ١، ١٩٩٤ م - ١٤١٤
هـ.

د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص " المفهوم - العلاقة - السلطة". مجد المؤسسة
الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- دكتور عبد الواحد الشيخ : دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦.
- د. عصام خلف كامل : مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية و اللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشر و التوزيع.
- الدكتور صبري إبراهيم السيد: أسماء الأعلام المعاصرة دراسة في علم اللغة الاجتماعي، دار المعرفة الجامعة، ١٩٩٦.
- الدكتور عبد اللطيف حمزة : القلقشندی في كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل سلسلة أعلام العرب رقم : ١٢٠.
- علاء الدين علي المتقي بن حسام الين الهندي : كنز العمال، محقق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ج ١٦، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار النشر، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى، - ١٤٠٥ هـ ، ج ١.
- الدكتور علي عبد الواحد وافي: اللغة و المجتمع، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة - القاهرة.
- د. كريم زكي حسام الدين : المحظورات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١٩٨٥.
- دكتور. كمال بشر : علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، ط ٢.
- دكتور. كمال بشر : فن الكلام، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع ٢٠٠٣.
- دكتور. كمال بشر : مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- مصطفى موسى : مختصر صبح الأعشى في صناعة الإنشا. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط ١، ج ١، (٢٠٠٦ م).
- الإمام محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها و تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٠.

- الدكتور محمد العبد : النص و الخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- الدكتور محمد العبد : اللغة المكتوبة و اللغة المنطوقة بحث في نظرية، دار الفكر الدراسات للتوزع والنشر، القاهرة، ط ١ ، ١٩٩٩ .
- دكتور محمد جمعة عبد الصمد عابد : الكتابة و الكتاب في عهد الرسول ، دار الأرقم، ط ١ ، ١٩٩١ م / ١٤١١ هـ .
- دكتور. محمود عكاشة : خطاب السلطة الإعلامي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، القاهرة، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- دكتور. محمود عكاشة : دكتور محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي - دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- تون أ. فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة و تعليق دكتور سعيد حسن بحيري. دار القاهرة للكتاب، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ج. ب براون و ج. يول : تحليل الخطاب. ترجمة و تعليق دكتور محمد لطفي الزليطني و دكتور منيرالتركلي. جامعة الملك سعود، ١٩٩٧ م .
- دويوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء. ترجمة دكتور تمام حسان. عالم الكتب - القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- دى سوسير (فردينان): علم اللغة العام. ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطلي. ١٩٨٨ م .
- دى سوسير (فردينان): أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات. ترجمة دكتور عز الدين إسماعيل. المكتبة الأكاديمية، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ديان مكدونيل : نظريات الخطاب. ترجمة و تقديم دكتور عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠١ .
- ستيفن أولمان: دور الكامة في اللغة. ترجمة و قدم له و علق عليه دكتور كمال بشر. منيرة بالقاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٩٢ م .

عالم الفكر، المجلد الثامن و العشرون، العدد الثالث، يناير/ مارس ٢٠٠٠ م.
مجلة البحوث و الدراسات العربية، العدد ٣٧، يوليو ٢٠٠٢ م.
جريدة الأخبار يوم الأربعاء ٢٠/٦/٢٠٠٧ م السنة ٥٦ العدد ١٧٢١٢ عن مقالة بعنوان "مصر
القديمة القلقشندي صاحب أكبر الموسوعات المصرية " بقلم : جمال بدوي.
مكتبة الشاملة الإلكترونية – الإصدار الثاني.
المكتبة الإسلامية الكبرى الإلكترونية.